مقالات "علمتني الحياة"

هو حبيبنا

لقد جاء إلى الناس بالدعوة الرّبانية، ولم يكن له دعاية من دنيا، أشرقت الحياة بعد قدومه واخفت ظلام الجاهليّة الدّامس، فلم يلق إليه كنز، ولم يسكن قصرا، ولم يكن يملك جنّة ليعيش فيها الدّهر، ورغم هذا أحبه الصّغير منهم و الكبير، ضيّق عليهم في الرّزق، وأوذوا من الناس، ومع هذا أحبوه كلّ الحبّ،حبسوا في العراء و لاقوا اشدّ أنواع التعذيب و التنكيل، ومع هذا أحبوه كلّ الحبّ، عرّض صفوة شبابهم للسيوف، فكانت على رؤوسهم كأغصان الشجرة الوارفة، من أجله، وقدّم رجالهم إلى المعارك فكانوا يأتون الموت كأنهم في نزهة، هذا هو رسولنا الذي شهدت بصدقه الجبال و السهول قبل أن يشهد له الإنس و الجنّ. فهو حبيبنا الذي نذرف الدموع لسيرته، وتتجمّع أروع الأشواق عند ذكره،ألا وهو النور الذي تلالا في الدجّى، و الشعاع الذي اجتاز القلوب معرّجا، نعم نحبّه لان فيه كل معاني الخير و الفرح، وكل علامات البرّ و الحقّ، إنه آية للسائلين في معالي الأمور، فذكره يُبرد غليل القلوب بالحنان، و يثلج صدورنا، و يفعم أرواحنا، فما أجمل سيرة المصطفى وهي تتردد على ألسنتنا، فلن ننسى نبيّ الرحمة الرقراقة التي بعثت لنا بمياه نهجه<وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين> سورة الأنبياء رقم الآية 107 هو حبيبنا الذي علمنا أن العقيدة وردة، إن لم تذق ماء المحبّة تذبل، فقد صقل ضمائرنا بهداه، وأنار بصائرنا بسناه، و أطفا نار الحقد و العداوة، وصبّ على مشاعرنا ماء اليقين،فهدأت نفوسنا، وسكنت أبداننا،و اطمأنت قلوبنا، وبردت أعصابنا، بعد أن كنّا غداة الجهل،وذنوب آلاف السنين منّا تهزّنا،وضميرنا في كلّ يوم يقتل، وقد سرنا في الظلام و على دروب الخوف كنّا نرحل <ويخرجهم من الظلمات إلى النور> سورة المائدة رقم الآية 16 فليت جيلنا تأسف على غياب الحبيب وتمنّى

رؤيته، لوجد كل واحد منا لذّة العيش معه، و الأنس في قربه، و الرضّا في رحابه، و الأمن في إتباعه، فليكن في فؤادنا كأننا نراه، و لنمتثل لأمره، ونفنى في الاقتداء به، ولنسعد حقّا، لأنّ إمامنا قدوتنا، ففداه مهجة خافقنا وجناننا، وفداه كبيرنا وصغيرنا، فجليل ربّنا الواحد الرّحمان، قد أسمى محبّته على الألحان، و زانه بالصّدق و الإيمان ،<وانّك لعلى خلق عظيم> سورة القلم رقم الآية 4 فمهما تزاحمت فيه الأكف كتابة فلن نستطيع الكتابة خوفا أن لا نوفّي حقّه، وما بوسعنا القول إلا أن معلّمنا اكتملت فيه كلّ الصّفات، ونال بالخلق العظيم مكانة واسما بقرآن الإله يرتّل، فلن يستطيع الفؤاد الإنشغال عن ذكره للحظة، فحبّه باق في القلب مقبل لن يغب، ولتعلم الدنيا بأنّ محمد تاج على الرؤوس مبجل،فوصاياه ثم وصاياه،أعماله وأفعاله، أذكاره وأحاديثه، أقواله و سننه<استجيبوا لله و للرسول إذا دعاكم لما يحييكم> سورة الأنفال رقم الآية 24 لتبقى في مفكّرة الأجيال، ومهما توالت الأيام و السنين، لتكن غانمة، مكرمة في فؤادنا، لن نستطيع البوح إلا:أن نحبّك يا رسول الله يا من حرّر العقول من أغلال الإنحراف، وأنقذ النفوس من ويلات الغواية، فلترضى عن الأصحاب و الأمجاد، وكن شفيعنا في دار الآخرة، وكن لنا بالعهد الذي لن يخلف، و الوعد الذي لن يتأخر، وصلّى الله وسلّم على خير الأنام و أزكى الناس و أعظمهم شأنا .

نجاة مختاري